



الدخان

ملخص الخطبة

- ١- بيان خبث الدخان. ٢- ضرر الدخان على الفرد والمجتمع. ٣- الأضرار الدينية والصحية للدخان. ٤- انتشار التدخين بين النساء. ٥- الإشادة بجهود مكافحة التدخين.

الخطبة الأولى

أما بعد: فعلينا أن نتقي الله تعالى ونشكره على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، وقد أغنانا سبحانه بالحلال عن الحرام، وأباح لنا من الطيبات ما تقوم به مصالحنا الدينية والبدنية، وحرّم علينا الخبائث لما فيها من الضرر علينا، حيث التغذية بالطيبات له أثر حميد في صحة الإنسان وسلوكه؛ لأنها تغذيه تغذية طيبة، أما التغذي بالخبائث فأثره خبيث في الأبدان والسلوك؛ لأنها تغذيه تغذية خبيثة.

ألا وإن من الخبائث التي ابتلي بها مجتمع المسلمين اليوم الدخان الخبيث الذي انتشر شره واستعماله بين الصغار والكبار وكذلك النساء، وصار شراً به ومتعاطوه يضايقون به الناس، ويؤذون به الأبرياء من غير خجل ولا حياء، حيث يملأ أحدهم فمه منه، ثم ينفثه في وجوه الحاضرين من غير احترام لهم ولا مبالاة بحقهم؛ لأنه يتضايق منه ولا يستطيع استنشاقه كاملاً، فيخرجه تخلصاً منه وتضايقاً ولو أدى به الآخرين، يخرجه من فمه المشبه بمدخنة الأفران والمحارق، فيخيم على الحاضرين سحابة قاتمة من الدخان الخانق الملوّث بالريق القذر والرائحة الكريهة المنتنة، ومصدر ذلك كله فم المدخن البذيء الذي لا يراعي لمجالسيه حرمة، ولا يفكر في وخيم فعله، ولو أن إنساناً تنفّس في وجه المدخن أو بصق أو امتخط أمامه فكيف يكون موقفه واستنكاره وتألمه لهذا الفعل؟! علماً بأنه يفعل بمن يجلس حوله في غرفته أو مكتبه أو سيارته أو في بيته بين أولاده وأهله أو مع جلسائه في أي مكان يفعل أكثر من هذا، ولم يستح ولم يرعو ولم يكن له من الشهامة والرجولة ما يردعه عن فعله هذا. أقول: الشهامة والرجولة لا الوازع الديني؛ لأنه لو كان لديه ذلك الوازع لانتهى وأقلع وخاف من رب العالمين، ولما بقي عليه لحظة واحدة؛ لأن الخوف من الله ومن أليم عقابه يجعل المسلم حي الضمير يقظاً متنبهاً، متى أراد الشيطان الإيقاع به انتبه واستغفر ربه وأناب إليه ورجع، فالذي يشرب الدخان وينفثه في وجوه الحاضرين قد نزع منه الحياء، وصار صفيقاً متلبد الشعور، وقد قال رسول الله: ((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت)).



أيها المسلمون، كم تعالت الأصوات في إنكار شر الدخان، وكم صدر من النشرات والتحذيرات الطبية من أضراره المتعددة، وكم صدر من الفتاوى الشرعية بتحريمه، وكم أُلّف من الكتب والرسائل في بيان مفسده، وكم جنى المدخنون من مضارّ في أبدانهم وأرواحهم وعلى نسلهم ونسائهم، وكم آذوا من جلسائهم في المجتمع، وكم أفنوا من دنائير ودراهم، وكم أضاعوا من أوقاتهم وأهدروها ومعها أعمارهم وأجسادهم حيث أفنوها فيما يحرقها ويتلفها.

ومع هذا وذاك كله فكثير من شاربيه لا يجيبون داعياً، ولا يصغون لناصح، ولا يحترمون أحداً، ولا يتزفون بأنفسهم عن تلك العادة السيئة؛ لأن الدخان قد أسرهم وأحكم أسرهم وقيدهم، فلا يستطيعون منه خلاصاً، إلا بالإيمان بالله ورسوله والتوبة الصادقة إلى الله عز وجل، ولو كان شارب الدخان صادق العزيمة شهماً متوكلاً على الله غير فاقد لذلك لاستطاع أن ينفك من هذا الأسر، وينطلق من تلك القيود بإذن الله تعالى.

إن الكفار يدفون هذا الدخان إلى مجتمعات المسلمين ويروجونه في أسواقهم؛ لعلمهم أنه من الأسلحة القاتلة التي تهدم الأجسام، وتقضي على الصحة، وتجنّي على أخلاق الشباب والرجال والنساء والأطفال، وبالتالي يستنزفون ثروات البلاد وخيراتهما، ويبنون حياتهم الاقتصادية الدنيوية، ويتقدمون في مخترعاتهم العلمية بما يدفعه أولئك السُدج من الأموال الطائلة مقابل الحصول على الدخان ومشتقاته الذي أهلكوا به أنفسهم، ولبئس ما اشتروا لأنفسهم، وتستنزف الأموال أيضاً من المدخنين أنفسهم ومن الأفراد الآخرين عموماً ومن الدول كذلك من حيث يشعرون أو لا يشعرون، حيث إنفاق الأموال الهائلة لعلاج المتضررين من التدخين وجلب الأدوية لهم والأجهزة الخاصة بالعلاج من بلاد الكفر، فهم المستفيدون مادياً ابتداءً وانتهاءً، والمسلمون غافلون إلا من شاء الله، فهلاً استيقظنا وانتبهنا وعرفنا مقاصد أعداء الإسلام والمسلمين في هذا وغيره من الأمور الأخرى؟! إن المجتمعات الغربية الكافرة تخصص سيارات ومراكب وأماكن خاصة لا يركبها ولا يدخلها أو يجلس فيها المدخنون حفاظاً على صحة غير المدخنين وعدم الإساءة إليهم وأذيتهم بالروائح المنتنة الصادرة من أفواههم وسجائرهم، فهلاً طبقها المسلمون، واستفادوا من تجارب غيرهم ما دام المدخنون مصريين على فعلهم؟! وهلاً قاموا بدور محمود يعود على الفرد والجماعة بخير؟! إن الأمل كبير في الأوبة والرجعة الصادقة، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [إبراهيم: ٢٠].

إن شرب الدخان ضار للبدن والدين والمال والمجتمع، ومُذْهِبٌ للشرف والمروءة والكرامة والشهامة، ونوع واحد من الأضرار كافٍ لتحريمه والابتعاد عنه، فكيف إذا اجتمعت فيه تلك المضار المتعددة والتي منها ما يلي على سبيل الاختصار:

أما ضرره على البدن فهو يضعفه بوجه عام، ويحدث تصلباً وتشنجاً وانسداداً في الشرايين الدموية، ومسبب للسل والسرطان والسعال الديكي والتهابات الفم واللثة والبلعوم والأنف والحنجرة ومداخل



الطعام والشراب وتقرحاتها وحرقتها حتى يجعلها كالفحم المحترق المنهار، ويسود الأسنان، ويسبب بلاءها وتآكلها بالسوس بسرعة، والتهاب الحبال الصوتية والتمدد والانتفاخ الرئوي وسرطان الرئة والغثيان مع قلة الشهية للطعام وعسر الهضم وقرحة المعدة والإمساك، وما يصاحبه من صداع وآلام مختلفة والتهابات مزمنة تؤدي إلى اضطرابات عصبية وفتور واسترخاء وسرعة تعب وإجهاد عند بذل أي جهد عضلي، إلى جانب قلة النوم والنسيان وارتعاش الأطراف، وإصابة العينين والجهاز البصري بعدم صفاء الرؤية والشعور بالغشاوة وضعف الإبصار.

وقد أعلنت هيئة الصحة العالمية قبل ثلاثين عامًا من الآن أن التدخين أشد خطرًا على صحة الإنسان من أمراض السل والجذام والطاعون والجذري مجتمعة، كما ثبت طبيًا أن التدخين يسبب الإجهاد والعقم عند النساء، ويضعف القدرة الجنسية عند الرجال، كما يقول تقرير الصحة العالمية: إن التوقف عن التدخين سيؤدي إلى تحسُّن الصحة بما لا تستطيعه جميع الوسائل الطبية مجتمعة، فهل أدرك المدخنون ضرر التدخين عليهم في أبدانهم؟!

إن هذا وغيره موجود ضمن كتب ورسائل ونشرات عديدة لمن أراد البحث والزيادة، وخير دليل قائم على المدخن هو نفسه وحاله وما هو فيه وعليه، خاصة المدمن عليه منذ فترة وصاحب الخدمة الطويلة في ذلك لا يحتاج إلى إثبات ودلائل من خارج نفسه.

وأما ضرره في الدين فإنه يجعل العبادات والقيام بالطاعات ثقيلة على متعاطيه وخاصة الصيام والصلاة والجلوس في المساجد وحضور مجالس العلم؛ لأنه لا يستطيع الصبر عنه وخاصة المدمنين، وما كره المسلم في عمل الخير فإنه شرّ في ذلك، وهو يدعو متعاطيه إلى مخالطة الأراذل والسفهاء والابتعاد عن الأخيار، ومتى سرى تعاطيه في الشباب سقطوا بالمرة، ودخلوا في مداخل قبيحة، وتدهورت أخلاقهم، وتحطمت معنوياتهم، ونشؤوا نشأة سيئة؛ لأن كل قرين بالمقارن يقتدي. وأما ضرره على المال فالذي يتعاطاه يعرف كم يضيع فيه كل يوم من الريالات، وقد يكون فقيرًا لا يملك قوت يومه، ومع هذا يقدّم شراء الدخان على شراء غيره من الضروريات لأهله ولو ركبته الديون الكثيرة، فيحرم نفسه وربما يحرم أولاده من التمتع بالطيبات، ويستبدل ذلك بالتدخين الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وربما يسأل هذا وذاك سجارة وسجارتين ويهرق ماء وجهه مقابل الحصول على سجارة، وربما يُمنع من ذلك ولا يُعطى، ومع هذا فلا يخجل ولا يستحيي وهذا هو الواقع، ولو ألجأته الضرورة إلى سؤال وطلب شيءٍ من الطيبات لما أقدم على ذلك، هذا حال بعض الفقراء المتعفين عن السؤال. أما الغني فهو يبذل المال في شرائه غير مبالٍ بما يخرج ويضيع في سبيل الشيطان، وهو يعلم أن المبذرين هم إخوان الشياطين، وأنه سوف يُسأل عن كل درهم ودينار: فيم أنفق؟ ويعلم أنه لو وقف عليه فقير كل يوم لمدة شهر يطلبه ثمن فطور لما أعطاه، ولو أعطاه يومًا أو يومين لمنعه ونهره وطرده وأرغى وأزبد وكشّر في وجهه بقية الشهر، وبهذا يتبين أن الشيطان لم



يمنعه في يوم من الأيام عن شراء الدخان، ولم يتركه يفكر في ذلك؛ لأنه إنفاق في سبيل الشيطان، فهو يسهل عليه طريقه، أما الإنفاق في سبيل الخير وطرقه لكسب الحسنات فإن الشيطان يصعبه، ويوسوس لصاحبه بوساوس كثيرة تمنعه من كسبها، ويكفي هذا البيان حال الإنفاق هل هو في الحلال والطيبات أم في الحرام والخبائث.

أما ضرر شرب الدخان في المجتمع فإن شاربه يسيء إلى مجتمعه وإلى كل من يجالسه ويصاحبه، ابتداءً من زوجته وأولاده حيث يكتم أنفاسهم ويخنقهم ويضايقهم برائحته الكريهة حتى يفسد الجو من حولهم، وثبت طبيياً بأن الجالسين الذين يستنشقون الدخان أكثر تضرراً من المدخنين أنفسهم، ومما صدر في آخر إحصائية حول الخسارة البشرية في المجتمعات هو موت أكثر من عشرة ملايين شخص في السنة الواحدة في العالم من المدخنين، منهم سبعة ملايين من البلدان النامية. كما يُعبرون. بسبب الأمراض الناتجة عن التدخين، أما بين عامة الناس المجالسين فإن المتضررين من ذلك على مدى الأيام سوف يجنون عواقبه وإن لم تصدر إحصائيات عن ذلك.

ولقد امتدّ أذى التدخين فصار يلاحق الناس في المكاتب والمتاجر وحال ركوبهم السيارات والطائرات، ولا حياء ولا خجل ولا رادع يردع متعاطيه إلا من شاء الله، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله قوله: ((لا ضرر ولا ضرار))، ((من أذى مسلماً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله)). وكذلك يلحق الأذى الملائكة الكرام الملازمين له، وإذا كان الرسول نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو كُرّاً أن لا يقرب المسجد، وليعتزل مجتمع المسلمين مع وجوب صلاة الجماعة على الرجال؛ لئلا يتأذوا من رائحته حتى تزول مع أنها من الطيبات، فكيف بالخبث الذي هو الدخان والجراك وغيرها من الخبائث؟! روى الإمام مسلم رحمه الله أن رسول الله قال: ((من أكل البصل والثوم والكُرّاً فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى فيه بنو آدم)).

أيها المسلمون، إذا كان شرب الدخان من الرجال منقصة لهم بين الرجال، ويهدم مروءتهم وشهامتهم، ويهدر كرامتهم، ويحطّ من قدرهم، فإنه من النساء أعظم، وما نسمع عنه من أن بعض نساء المسلمين وصل بهن الحال من غير حياء ولا خجل بل وبكل وقاحة يتصدرن مجالس النساء ومحافلهن واضعات السجائر في أفواههن وليات الشيشة والجراك ليخرج منهن كدخان المصانع والأفران، وهذا الانحطاط الخلقي والدناءة التي يأنفها كل غيور وصلت ببعض النساء إلى اصطحاب الشيش إلى المنتزهات والشواطئ ليمارسن المناظر المخزية أمام أعين الناس عامة، فيا لها من مناظر مخزية وحالات مستفزة يندى لها الجبين، وذلك هو طيبهن وعطرهن الذي يستعملنه لأرواجهن الذين رضوا بفعلهن القبيح.

قال تعالى عن رسولنا محمد: **وَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهُمُ الْخَبَائِثَ [الأعراف: ١٥٧]**، وقال تعالى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [البقرة: ١٩٥]**.



الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده سبحانه وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة: 172]، وكما يحكم عليه المدخنون أنفسهم بأن الدخان من الخبائث فقد قال الله تعالى: وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ [الأعراف: 157]، وقال رسول الله : ((إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه)).

وإن مما يبشّر بالخير ويتلج صدور المؤمنين ويغیظ المنافقين والكافرين هو امتناع كثير من المحلات التجارية في هذا البلد الطيب عن بيع الدخان والجراك، وفي مدينة واحدة مثل جدة وصل عدد المحلات التي امتنعت عن بيع الدخان ما يقارب خمسمائة محل تجاري قبل أكثر من عشرات سنوات، حصلت على شهادات تقدير، وهذه ظاهرة طيبة سرت في معظم مدن بلاد الحرمين، وسمعنا عن الامتناع عن الدخان وبيعه داخل مكة والمدينة، وهذه خطوة مباركة لا شك في هذا، ولا غرابة في ذلك على أهل هذا البلد المبارك المسارعين إلى فعل الخيرات والاستجابة لنداء الفطرة السليمة، خاصة عندما يأتيهم من يذكروهم ويوقظهم مما هم عليه وفيه. وما قامت به الدولة من إنشاء مصحات خاصة لمساعدة المدخنين على إقلاعهم عن تلك العادة السيئة لهو عمل مشكور وجهد مبارك ينبغي لمن ابتلي بالتدخين الاستفادة منه والمساعدة إلى العلاج بدون مقابل.

والحمد لله فقد منعت الدولة منذ فترة طويلة الدعايات والإعلانات عن الدخان وما شابها في الأسواق والصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، وهذا شيء طيب والله الحمد والمنة تمتاز به بين الدول من ضمن المناقب والمفاخر الأخرى التي لا توجد إلا في هذا البلد، إلى جانب الأمر السامي الذي يقضي بمنع التدخين في الإدارات والمؤسسات الحكومية، وإننا لنرجو أن يلقي ذلك التطبيق والالتزام الكامل خاصة في المدارس والمستشفيات والمراكز الصحية التي هي قدوة لغيرها من حيث العاملين فيها، فإذا لم يلتزم المعلمون والمربون والأطباء بذلك فلا فائدة مرجوة منهم حول ذلك على من يستفيد منهم من الطلاب والمرضى، وهذا لا يعفي الدوائر والمؤسسات الأخرى، ولكن هذه الأماكن قبل غيرها.

أيها المسلمون، إن مما يلحق بشرب الدخان ويشبهه ما يسمى بالجراك أو الشيشة أو المدعة والقات



والشمّة وكلها بنات الخمر والمخدرات، وإن كانت تفرق عنها في سرعة المفعول وبطنه وفي الحكم الشرعي، لذلك وجبت النصيحة والتذكير بين فترة وأخرى في هذا وغيره، والله من وراء كل قصد.